

وحدة المغرب العربي بين الأمير شكيب وعلماء الجزائر

الأستاذ محمد بلقاسم

جامعة الجزائر 1

شهدت منطقة المغرب العربي سنة 1930 تحديات استعمارية استفزازية جديدة لمشاعر المسلمين ، تمثلت على وجه الخصوص في الاحتفالات الفرنسية بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر⁽¹⁾، وصدر "الظهير البربري"⁽²⁾ بالمغرب الأقصى، وانعقاد المؤتمر الأفخاريستي بقرطاج في تونس⁽³⁾، وكانت هذه الحوادث

(¹) - أقيمت الاحتفالات الفرنسية بالذكرى فيما بين 1927 - 1930، وهناك عدة أدبيات عن هذه التظاهرات الفرنسية، انظر: مثلاً،

- G. MERCIER, *Le Centenaire de l'Algerie*, 2T. Alger, 1931, et R. WEISS, *Le Centenaire de l'Algérie*, 2 T. Alger 1931

(²) - صدر الظهير البربري في 16 ماي 1930، انظر عنه:

- Muslim BARBARI, *Tempête sur le Maroc, ou les erreurs d'une "Politique berbère"*, Paris, 1931

والكتاب لمؤلف مجهول (⁴) توجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، ويذكر أن الكتاب لمحمد حسن الوزاني. انظر:

- Antoine FLEURY, "Le mouvement national arabe à Genève durant l'entre deux guerres", In *Relations Internationales*, n° 19, Automne 1979, Genève, P.349.

أما عبد الكريم، غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى إعلان الاستقلال، ج1، الشركة المغربية للطبع و النشر، الدار البيضاء 1976، ص. 87، فذكر أن مؤلف الكتاب هو عمر بن عبد الجليل، وقد ترجم الكتاب إلى العربية في القاهرة بعد صدوره سنة 1931.

(³) - عقد المؤتمر الأفخاريستي وحضره قساوسة الكنيسة الكاثوليكية بقرطاج (تونس) بين 7 - 11 ماي 1930، انظر عنه، مكتب الأخبار التونسية، ظاهرة مريبة في سياسة الاستعمار الفرنسي، هل تمثل مأساة الأندلس من جديد في شمال أفريقية الحملة الصليبية التاسعة في المؤتمر الأفخاريستي ؟ معلومات قيمة تولى تدوينها مكتب الأخبار التونسية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1931/1349، توجد نسخة منه بالمكتبة الجامعية، بالجزائر.

التي هزت مشاعر المغاربة بمثابة "بداية النهاية للنظام الاستعماري بالمغرب العربي"⁽⁴⁾، إذ نظر المغاربة إلى المؤتمر الأفخارستي على أنه محاولة من الكنيسة المسيحية الكاثوليكية "لتنصير مسلمي شمال أفريقية"، وذلك بناء على ما صرح به رجال السياسة والدين الفرنسيين، وبخاصة وأنه جاء مقترنا بالاحتفالات الفرنسية بالذكرى المئوية في الجزائر⁽⁵⁾، ونتيجة لذلك قامت عدة مظاهرات وتدييدات صحفية، تعرض فيها الوطنيون التونسيون والجزائريون للضرب والسجن من قبل أجهزة القمع الفرنسية⁽⁶⁾.

و بناء على ما سبق، قام الطلبة المغاربة الدارسون بباريس بالاتصال بالأمير شكيب أرسلان بسويسرا وأطلعوه على السياسة الفرنسية الجديدة في المغرب العربي، فترك الأمير لوزان في 18 جوان 1930⁽⁷⁾ ليحل بباريس ويلتقي بأعضاء جمعية الطلبة المسلمين الشمال أفارقة (AEMNA)⁽⁸⁾، ومن باريس ومرورا بإسبانيا حلّ الأمير شكيب أرسلان بطنجة يوم 14 ربيع الأول 1349هـ/10 أوت 1930، ليحلّ بعد ذلك لدى رجال الحركة الوطنية بشمال المغرب في تطوان وفي طليعتهم رائد الحركة الوطنية المراكشية الشيخ عبد السلام بنونة، الذين استقبلوه باحتفالات تكريمية طيبة⁽⁹⁾.

ويبدو أن زيارة الأمير شكيب أرسلان، كانت محضرة من قبل رجال الإصلاح الديني في الجزائر والوطنيين بالمغرب العربي، كرد فعل لما قامت به السلطات الفرنسية من تحديات للأهالي في المنطقة، فقد قام الشيخ أحمد توفيق المدني، الذي كان على اتصال دائم بالأمير شكيب أرسلان، باطلاع رجال الحركة

(4)-Roger, LE TOURNEAU et Autres, **La formation des élites politiques maghrébines**, CRESM, ouvrage publié par le C.N.R.S. Paris 1973, P. 62

(5)- مكتب الأخبار التونسية، ظاهرة مريبة، ص ص. 7 - 9

(6)- نفس المصدر، ص. 32 - 33 وص ص. 71 - 75

(7)-AGERON, **Politiques coloniales au Maghreb**, Ed. P.U.F, Paris 1972. P. 140

(8)-LE TOURNEAU, **Evolution politique de l'Afrique du nord musulmane, 1919-1961**, Librairie Armand Colin, Paris 1962. P. 194

(9)- عن زيارة الأمير شكيب أرسلان إلى المغرب الأقصى، انظر: محمد ابن عزوز حكيم، وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب، أهدافها، نتائجها، (عرض وتعليق)، مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر، تطوان، المغرب، 1980/1400، ص: 120

الوطنية بشمال المغرب بقرب زيارة الأمير شكيب أرسلان لهم بمدينة تطوان،
بمراسلة بعثها إلى الأستاذ محمد داود بتاريخ 21 جويلية 1930⁽¹⁰⁾.

ألقى الأمير شكيب أرسلان خلال تواجده بتطوان عدّة محاضرات عن تاريخ
الأندلس العربية، وانتقد بشدة السياسة الفرنسية في المغرب الأقصى، وعندما عاد
إلى إسبانيا في 19 أوت أنشأ بها "الجمعية الأسبانية - الإسلامية - بمريد"⁽¹¹⁾،
وكان من أعضائها مجموعة من الشخصيات العلمية والمغربية، ومن أهداف
الجمعية تدعيم أواصر الصداقة وبث التاريخ الحضاري المشترك بين الأسبان
والمسلمين وتدعيم مطالب المغاربة ونشر فكرة "كره الأجنبي"، على أن تتوسع هذه
اللجنة (الجمعية) في كل أنحاء العالم الإسلامي والأسباني، وقد ظهرت لها فروع
في إسبانيا والمغرب الأقصى، وكلف الشيخ عبد العزيز الثعالبي بتكوين فروع لها
في القاهرة⁽¹²⁾.

ولما عاد الأمير شكيب أرسلان إلى لوزان بسويسرا، فإنه شن حملة شعواء
ضد "الظهير البربري" من خلال جريدته (الأمة العربية) الصادرة باللغة الفرنسية،
ووصفه بأنه "مرحلة أولى لكثلكة" أهالي المنطقة، واتهم المقيم العام الفرنسي
بالمغرب الأقصى بأنه حاول "إحياء أمجاد فرديناند وإيزابيلا"، كما أراد أن يطبق
أفكار "الأب دو فوكو والكاردينال لافيغري" في الأرض المغربية⁽¹³⁾، واستطاع
الأمير نتيجة دعايته أن يؤلب الرأي العام الإسلامي على ما تقوم به فرنسا في

⁽¹⁰⁾ - ابن عزوز حكيم، وثائق سرية، ص. 20، توجد رسالة أحمد توفيق المدني بخزانة الأستاذ
محمد داود، وهي تحمل رقم واحد (1) ضمن مجموعة الوثائق.

⁽¹¹⁾ - REZETTE, Les partis politiques marocains, Librairie Armond
Colin, Paris 1955. P. 72.

⁽¹²⁾ - "A l'assaut du Maroc français - Après l'interdiction de "Moghreb"" in A.
F. n° 12, decembre 1932, P. 709

- حسب ليفي بروفتسال، أنشأ الأمير شكيب أرسلان فرعا للجنة المسماة (اللجنة الفلسطينية -
السورية) بتطوان، وغير اسم اللجنة إلى (اللجنة الفلسطينية - السورية - المغربية
PROVENCAL, "L'Emir Shakib Arslan - LEVI - انظر: n° 1X-X,
1869-1946", Extrait des Cahiers de l'Orient contemporain, n° 1X-X,
Paris 1948. P. 8

⁽¹³⁾ - AGERON, Politiques coloniales au Maghreb, Ed. P.U.F, Paris 1972.
P. 140 .

المغرب الأقصى⁽¹⁴⁾، إذ تضامن المؤمنون من "الجزائر إلى جاوة" معلنين احتجاجاتهم ضد فرنسا⁽¹⁵⁾.

كان الظهير البربري نقطة البداية للحركة الوطنية المراكشية للمناداة "بالوحدة العربية" التي كان ينادي بها الأمير شكيب أرسلان، وهي ذات مدلول سياسي أكثر تحديداً، وأكثر ملائمة وخدمة لأهداف السياسة من الوحدة الإسلامية⁽¹⁶⁾. كما كان الأمير شكيب أرسلان قد جمع بين الوطنيين المخلصين في صفوف الجمعيات السرية (أو التنظيم السري)، التي كانت تعمل في الخفاء في كل من تطوان وفاس والرباط وسلا، وغيرها من المدن المراكشية، وألف بينهم وبين طبقات الشعب، وحدث بذلك تضامن شمال المغرب (مراكش) مع جنوبه، واجتمع حولهم المواطنون في المساجد و المظاهرات و قراءة "للطيف"⁽¹⁷⁾، وتماسكت بذلك الحركة الوطنية أكثر من ذي قبل⁽¹⁸⁾ فقامت عدة مظاهرات احتجاجية وقدمت عدة عرائض إلى السلطات الاستعمارية، تعرض على إثرها المراكشيون لتعسفات الإدارة الفرنسية، متمثلة في سجن وتعذيب الوطنيين. وستتبلور مطالب تلك العرائض و المظاهرات في برنامج "إصلاحات الكتلة الوطنية المغربية" المقدم سنة 1934 إلى السلطات الفرنسية⁽¹⁹⁾.

ربط الأمير شكيب أرسلان اتصالاته بزعماء الحركة الوطنية و الإصلاحية في المغرب العربي، إذ كان على علاقة بمحيي الدين القليبي بتونس وأحمد توفيق

(14) - Ibid., P. 141 – 142.

(15) - Charles-Andre, JULIEN, *Le Maroc face aux impérialismes*, 1414-1956, Ed. J.A. Paris 1978, P. 161

(16) - دوجلاس، آي، أشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، ترجمة عائدة سليمان عارف و أحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الثقافة، بيروت 1963. ص. 46

(17) - "اللطيف" هو الدعاء الذي كانت تختتم به جميع المظاهرات والتجمعات الاحتجاجية ضد الظهير البربري في المساجد والأماكن العامة: "اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، ألا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر"، انظر: علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال، مطبعة الرسالة، مراكش - القاهرة، ص. 165

(18) - يسميها علال الفاسي، "كتلة العمل الوطني"، نفس المصدر.

(19) - انظر، نفس المصدر، ص. 166، وانظر كذلك، غلاب، مرجع سابق، ص. 73 – 75

المدني بالجزائر والشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة⁽²⁰⁾ والطيب العقبي ببسكرة ومبارك الميلي بالأغواط وعلال الفاسي بفاس ومحمد بن أحمد داود⁽²¹⁾ وعبد الخالق الطريس بتطوان⁽²²⁾ وغيرهم.

أما أحمد توفيق المدني فربط صلته بالأمير شكيب أرسلان عن طريق المراسلة ابتداء من سنة 1923، عندما كان عضوا بالحزب الدستوري، وأصبح فيما بعد يمد الأمير بالمعلومات عن المغرب العربي، ولما أصدر الأمير مجلته (الأمة العربية باللغة الفرنسية). كان المدني من مؤيديها ومناصريها ومروجيها بالجزائر⁽²³⁾. والشيخ المدني كما ذكرنا، هو الذي أخبر رجال الإصلاح بالمغرب الأقصى بقرب زيارة الأمير شكيب أرسلان لهم في تطوان، وبعد زيارة الأمير للمغرب الأقصى توطدت صلاته أكثر بالوطنيين هناك، وبخاصة مع الحاج عبد السلام بنونة⁽²⁴⁾.

كما أن الأمير شكيب أرسلان، كان قد ربط صلته بالشيخ عبد العزيز الثعالبي ومحمد المكي الناصري، في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بالقدس في شهر ديسمبر 1931 وترأسه الشيخ المفتي الحاج أمين

(20) - تعود صلة ابن باديس بالأمير شكيب أرسلان إلى ما قبل سنة 1925، إذ ذكر أحمد توفيق المدني، أنه حين نفى تونس إلى الجزائر، وصلته رسالة من الأمير شكيب أرسلان عن طريق الإمام عبد الحميد بن باديس. انظر: أحمد توفيق المدني، "شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"، مجلة الثقافة، عدد 76، رمضان/شوال 1403/ يوليو/أغسطس 1983، الجزائر، ص. 74

(21) - المدني، حياة كفاح (مفكرات)، القسم الثاني في الجزائر 1925-1954، ج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1977. ص. 137

(22) - ابن عزوز، وثائق سرية، ص. 8 - 11

(23) - المدني، حياة كفاح، ج2، ص. 232 - 233

(24) - صدر كتاب طنجة سنة 1980، عن علاقة الأمير شكيب أرسلان برجال الإصلاح في تطوان، وهو كتاب من النمط الوثائقي التسجيلي المستند إلى خزائنه (مكتبة) خاصة من المراسلات الشخصية امتلكها صاحب الكتاب (الطيب بنونة) ونشر بعضها بعنوان: نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، ط. مطبعة دار أمل، طنجة، المغرب، 1980/1400.

الحسيني، حيث مثل الثعالبي المغرب العربي⁽²⁵⁾، وقدم فيه محمد المكي الناصري تقريراً عن سياسة فرنسا بالمغرب الأقصى⁽²⁶⁾.

ولمّا افتتح الأمير شكيب أرسلان "مكتباً" للإعلام في جنيف سنة 1930، أصبح مكتبه ملتقى القوميين العرب القادمين من المغرب والمشرق العربيين⁽²⁷⁾، كما أن الأمير أصبح مرشداً لزعماء الكتلة الوطنية المغربية (المراكشية)، وأصبحت مدينة تطوان همزة الوصل بين الوطنيين في فاس والأمير شكيب أرسلان بجنيف⁽²⁸⁾. فقد التجأ إلى الأمير بجنيف عام 1932 أحمد بلافريج، في حين عمل لديه محمد حسن الوزاني⁽²⁹⁾ كاتباً فيما بين 1930 – 1933⁽³⁰⁾، كما زاره محمد المكي الناصري في مارس 1932⁽³¹⁾، والحاج عبد السلام بنونة فيما بين 26 – 29 جويلية⁽³²⁾، وعبد الخالق الطريس فيما بين 6 – 9 ماي 1933⁽³³⁾، وفي صيف نفس السنة، اتصل به كل من الحاج محمد بنونة وعلال الفاسي، وكان الفاسي منفياً، وبقي ستة أشهر متقلداً بين سويسرا وفرنسا ومتصلاً بالأمير، إلى أن عاد إلى المغرب الأقصى في جانفي 1934⁽³⁴⁾. ويبدو أن هؤلاء الوطنيين، كانوا يطلعون الأمير على كل الأمور المستجدة والمتعلقة بالمغرب العربي، ومن ذلك فإن عبد الخالق الطريس، قبل أن يتصل بالأمير شكيب أرسلان، كان قد اتصل بباريس بالشباب الجزائري والتونسي المعروفين بنشاطهم الوطني⁽³⁵⁾.

(25) -LE TOURNEU, *Evolution*, op. cit. P. 71.

(26) -AGERON, *Politiques coloniales*, P. 141 – 142.

(27) -دوجلاس، مرجع سابق، ص. 47.

(28) -REZETTE, op. cit. P. 72.

(29) -الملاحظ أن اسم الوزاني هو محمد حسن الوزاني، كما ورد في منكراته، وليس محمد الحسن، كما يورده بعض الكتاب.

(30) -دوجلاس، مرجع سابق، ص. 47.

(31) -REZETTE, op. cit. P. 94.

(32) -ابن عزوز، وثائق سرية، ص. 80.

(33) -نفس المصدر، ص. 85 – 93.

(34) -غلاب، مرجع سابق، ص. 84 – 85.

(35) -ابن عزوز، وثائق سرية، ص. 85 – 93.

كان تأثير الأمير شكيب أرسلان كبيرا على زعماء حركات الإصلاح بالمغرب العربي، وبخاصة أولئك الذين لهم اتجاه عربي - إسلامي، فقد أصبح بالنسبة لرجال الإصلاح بالجزائر ملهما روحيا ومرشدا ومستشارا، وبخاصة في ميدان العروبة والأمور السياسية الاستعمارية⁽³⁶⁾، وكان كذلك بالنسبة للمراكشيين والتونسيين، فجميعهم تنبّعوا تحركات الأمير ومناهضته للاستعمار الفرنسي - الانجليزي، ودعوته للوحدة العربية، من خلال اتصالاته بهم، ومن خلال جريدته (الأمة العربية)، فقد دعت هذه الجريدة إلى ضرورة "اتحاد الدول المشرقية" العربية في كتل على أمل تحقيق الوحدة العربية الشاملة، "فاتحاد سورية والعراق" ما هو الا مرحلة أولى لاتحاد "شبه الجزيرة العربية"، واتحاد هؤلاء جميعا في المشرق العربي، لا شك أنه سيكون بمثابة أمثلة حيّة لاتحاد عرب المغرب العربي⁽³⁷⁾.

وحدد الأمير شكيب أرسلان مع نهاية سنة 1936 مراحل الوحدة العربية التي تشمل "كل سكان الوطن العربي، الذين تجمعهم وحدة اللغة والعقيدة والتاريخ المشترك والعادات والتقاليد ونفس الطموحات والآمال"، وتخص هذه الوحدة "سورية ومصر وفلسطين والعراق والحجاز وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش"، ورأى أن وحدة هذه البلدان من متطلبات الساعة، غير أنه كان يرى أن هذه الوحدة ستتم وفق مراحل، نظرا للظروف التي كان يعيشها الوطن العربي وقتئذ، فقد جزأ الوطن العربي إلى ثلاث كتل كبرى تتوحد فيما بينها، ثم تتجمع هذه الكتل في كتلة واحدة هي: "الوطن العربي وتشمل هذه الكتل الآتي: -

- الكتلة الأولى: مصر والعراق وسورية وفلسطين.

(36) -MERAD, *Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940. Essai d'histoire religieuse et sociale*, Ed. Mouton & Co, Paris 1967, P. 365

- لا ينبغي أن ننسى هنا تأثير الشيخ محمد رشيد رضا وجريدته (المنار) على رجال الإصلاح في الجزائر، في ميدان العروبة أيضا، فقد كان الأمير شكيب أرسلان أحد تلامذة الشيخ محمد رشيد رضا، وعن تأثير الرجلين وغيرهما في رجال الإصلاح بالجزائر، انظر:

- J. DESPARMET, "Le Panarabisme et l'Algérie", In L'A. f. n° 6, juin 1936, P. 314.

(37) - Antoine, FLEURY, « Le mouvement national arabe à Genève durant l'entre-deux-guerres », In *Relations Internationales*, n° 19/1979, Paris, p.351, Informations inspirées de « Vers l'union arabe », In *La Nation Arabe*, n° sept-oct. 1931, et « L'unité arabe s'impose », In *La Nation Arabe*, n° nov-déc, 1931

- الكتلة الثانية: شبه الجزيرة العربية (الحجاز، اليمن، مسقط، عمان، البحرين).

- الكتلة الثالثة: المغرب العربي (طرابلس، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى).

على أن يشرع كل بلد من هذه البلدان في التهيئة والعمل "لوحدة الأمة العربية".

ويبدو أن زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب الأقصى المنقسم بين قوسين استعماريّتين، كانت ضمن "استراتيجية" الوحدة العربية، وذلك ليوحد الأمير النشاط السياسي والإصلاحي بين الوطنيين، وينسق العمل النضالي فيما بينهم في كلا الجناحين المغربيين الشمالي والجنوبي، وفي هذا الإطار اهتم "بالأمة المغربية (المراكشية)"⁽³⁸⁾، وبخاصة وأنه تقطن للسياسة الفرنسية التي كانت تهدف بإصدار (الظهير البربري) إلى تقسيم المغرب الأقصى إلى شتات من الأجزاء.

كما أن مفهوم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورجالاتها للوحدة العربية، يلتقي مع "استراتيجية" الأمير شكيب أرسلان، وفي هذا المجال تحرك العلماء في الجزائر بالتنسيق معه لنشر أفكار العروبة في المغرب العربي⁽³⁹⁾.

وجه الشيخ ابن باديس وجماعة المصلحين في الجزائر اهتماماتهم إلى توسيع مجال الإصلاح على الصعيد المغاربي، على أمل وحدة العمل والوحدة في المغرب العربي. وقد كان المصلحون في الجزائر على علاقة بالوطنيين في كل من تونس والمغرب الأقصى عن طريق الاتصال المباشر والمراسلة وعن طريق ترويج الأفكار الإصلاحية في الصحف.

فقد كانت نشاطات جمعية العلماء منتشرة في الأوساط المراكشية⁽⁴⁰⁾، والتونسية، وكان لها العديد من المعجبين والمتحمسين، كما كانت صحيفة (الشهاب) منبرا لبعض الكتاب المراكشيين⁽⁴¹⁾ والتونسيين، كما كانت كذلك صحيفة (البصائر)

⁽³⁸⁾ -REZETTE, op. cit. P. 73 – 74.

⁽³⁹⁾ -DESPARMET, A. F., n° 6/1936, op. cit. P. 314.

⁽⁴⁰⁾ انظر: " صدى جمعية العلماء وآثارها في المغرب والخارج"، الأمة (أبو اليقظان) عدد 4، 29 جمادى الثانية 1353/1934.

⁽⁴¹⁾ -MERAD, Le reformisme, P. 430 .

لسان حال الجمعية، هي الأخرى مفتوحة للأقلام المراكشية — التونسية وكانت تتابع الأحداث بالقطرين الشقيقتين⁽⁴²⁾.

و إذا كان أحمد توفيق المدني هو الذي مَنَّ الإتصال بين الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، فإن إبراهيم الكتاني وهو أحد الأعضاء النشطين بالحركة الإصلاحية والسياسية بالمغرب الأقصى، والذي شارك في حركة مناهضة الظهير البربري، وكان عضوا بالكتلة الوطنية المغربية، وجمعية طلبة شمال أفريقية المسلمين، فإنه هو الذي ربط الاتصال المباشر بين الحركتين الوطنيتين بمراكش والجزائر، اللتين كانت تمثلهما كتلة العمل الوطني المغربية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وعن هذه القضية قام إبراهيم الكتاني برحلة إلى تلمسان لحضور المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين المنعقد سنة 1935، والذي ترأسه شرفيا الشيخ الإبراهيمي، ثم دعت جمعية العلماء إلى حضور مؤتمرها السنوي بمدينة الجزائر⁽⁴³⁾.

لقد تبنى رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، خلال عقد الثلاثينات، في استراتيجيتهم وحدة المغرب العربي، ولذلك نجدهم يدعمون الترابط بين بلدان المغرب العربي ويدعون إليه، وكان في طليعتهم الشيخ ابن باديس، الذي أوضح في أحد مقالاته مع نهاية سنة 1936: "لمن أعيش؟"، وقال: أنه يعيش "للإسلام والجزائر"، فالجزائر هي "وطنه الخاص" تربطه بأهلها "روابط من الماضي والحاضر والمستقبل" ووراء وطنه الخاص، الذي عمل مع رجاله على وحدته، أوطان أخرى، كانت دائما على بال المصلحين، وأقرب هذه الأوطان: "المغرب

⁽⁴²⁾ كتبت جريدة (البصائر) المقالات المطولة حول أحداث تونس، كتصديها مثلا لفتوى شيخ الإسلام (الطاهر بن عاشور) بجواز "التجنس"، إذ كتب كل من الشيخين ابن باديس والإبراهيمي مقالات بعنوان: "فتوى شيخ الإسلام"، يبطلان فيها فتوى التجنس، ويلومان على شيخ الإسلام بتونس، فيما بين 2 صفر 1355/1936/04/24 وفتح ربيع الأول 1355/1936/05/22. كما نشرت الجريدة أخبارا عن كتلة العمل الوطني المغربية، فضلا عن أنها كانت منبرا للأقلام المغاربية، فنشرت لعدد من الكتاب بأسمائهم أو أسماء مستعارة. كما أفردت كل صحف الإصلاح في الجزائر بابا لتحليل الأوضاع في المغرب العربي، واعتبرت ما يجري في كل من تونس والمغرب الأقصى أمورا تخصها ...

⁽⁴³⁾ — عبد الوهاب، ابن منصور، أعلام المغرب العربي، ج1، (أ — أبوح)، المطبعة الملكية، الرباط، 1979/1399، ص. 195 — 196.

الأدنى والمغرب الأقصى، اللذان ما هما والمغرب الأوسط إلا وطن واحد، لغة وعقيدة وآداباً وأخلاقاً وتاريخاً ومصلحة"، ووراء هذه الأوطان الوطن العربي والإسلامي، ثم وطن الإنسانية العام⁽⁴⁴⁾.

وكان لمقال ابن باديس صداه في تونس، إذ هللت له جريدة (الزهرة)، أثناء زيارة الشيخ ابن باديس لتونس في شهر شوال 1355/جانفي 1937، ونوهت بقدمه الصحف التونسية، وأقامت له "جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين" حفلاً تكريمياً، ألقى فيه عدة خطب، ومن جملتها خطاب الشيخ محمد الصادق بسيس⁽⁴⁵⁾، الذي أشاد بقوم الشيخ ابن باديس إلى تونس، وذكر الحاضرين بمقال "لمن أعيش؟" ودعا إلى اتحاد المغرب العربي⁽⁴⁶⁾.

ويبدو أن الشيخ ابن باديس قد تحمس أكثر لفكرة وحدة المغرب العربي، بعد أن وجد التجاوب في تونس، إذ أنه مدّ "يد الإخلاص والولاء" من وراء الحدود الوضعية للجزائر، من خلال مجلة (الشهاب) إلى "رجال المغرب الأبرار" في كل من تونس والمغرب الأقصى: إلى رجال الحزب الحر الدستوري التونسي وكتلة العمل الوطني المغربية (المراكشية)، معتبراً إياهم إخواناً من "الأم والأب" وشركاء في "الأصل والنسب"، وقد خلقهم الله مع الجزائريين "أمة تشترك في وطن يربط الأطلس بين أجزائه، وضعته يد الله فلا تستطيع أن تحلّه يد البشر، وتشترك في لغة ودين، وشريكة في المحن والآلام وتصرفات الأيام، وشريكة في كل المصالح الدينية والدنيوية، وشريكة في الآلام الفسيحة والنظر إلى المستقبل، بأعين متفائلة معتبطة، وشريكة فوق ذلك في ميدان الجهاد الوطني في سبيل الحرية والتحرير."⁽⁴⁷⁾ وفوق

(44) — انظر، عبد الحميد بن باديس، "لمن أعيش؟"، نشر في مجلة الشهاب، ج10، م12، غرة شوال 1355/سبتمبر 1936، ونشر كذلك في جريدة البصائر، عدد 11 شوال 1355/25 ديسمبر 1936. ومقال "لمن أعيش؟" هو ملخص لمحاضرة ألقاها الشيخ الإمام على أعضاء جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة.

(45) — محمد الصادق بسيس (1914/1332 — 1978/1398) من أعلام الثقافة الإسلامية بتونس، درس بالمدرسة الخلدونية وجامع الزيتونة، كان من أعضاء الحزب الدستوري (القديم)، تأثر بالشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا، وعرف بمقالاته في الصحف التونسية، وبدفاعه عن القضية الفلسطينية، وبتصالاته بالأمير شكيب أرسلان، وله مؤلفات عديدة منها: 1 — شكيب أرسلان وصلاته بالمغرب العربي، 2 — دفاعاً عن السنة النبوية، 3 — مكانة الاجتهاد في الإسلام... إلخ، انظر: عنه، محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص ص. 130 — 136

(46) — انظر، جريدة البصائر، عدد 25 شوال 1355/8 جانفي 1937

(47) — انظر: ابن باديس "الأيام الخالدة في تاريخ المغرب الحديث"، الشهاب، ج11، م12، ذي القعدة=

هذه الدعوة، زار ابن باديس تونس مرة ثانية في شهر ماي 1937، حيث كانت الأوساط الثقافية الإسلامية من "زيتونية ودستورية" مألوفة لديه، وذلك لحضور إحياء الذكرى العشرين لوفاة الشيخ البشير صفر⁽⁴⁸⁾، التي أقامتها له المدرسة الخلدونية⁽⁴⁹⁾، ثم زارها للمرة الثالثة في شهر جويلية، لتحية زميله الشيخ الثعالبي الذي عاد من المشرق العربي، والترحيب به في المغرب العربي⁽⁵⁰⁾.

عاد الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى تونس في 8 جويلية، واحتفل لعودته الوطنيون التونسيون، واهتز لها المغرب العربي" من أقصاه إلى أقصاه "لاعتباره زعيم شمال أفريقية المنتظر"⁽⁵¹⁾، وعودته كانت كلها أملا لجمع الجناحين المتصارعين في الحزب الدستوري، الذي كان قد انشطر إلى قسمين منذ مؤتمر قصر هلال سنة 1934، ولجمع الجناحين، وجه الثعالبي بلاغا إلى الشعب التونسي في 3 أوت يدعو فيه إلى الوحدة⁽⁵²⁾.

ويبدو أن زيارة الشيخ ابن باديس للشيخ الثعالبي، تدخل في إطار العمل والتنسيق معه لهدف واحد، هو العمل لوحدة المغرب العربي، وبخاصة وأن الشيخ الثعالبي كان من دعاة الوحدة المغاربية، وأن ابن باديس كان يدرك ذلك، فحسب تقرير للمقيم العام الفرنسي بتونس، استقاه من رجال مخابراته، وجهه إلى السيد إيفون ديلبوس (Y. Delbos) وزير الشؤون الخارجية بفرنسا، جاء فيه، أن الشيخ

=1355/ جانفي 1937، ص ص. 480 — 491، وهو مقال مطول، حلّ فيه الأوضاع في المغرب العربي، ودعا فيه إلى وحدة المغرب العربي، انظر: ملخصا للمقال كذلك في:

— J. DESPARMET, "Le Panarabisme et la Berberie", In *Renseignements Coloniaux*, n° 8 & 9, 1937, PP. 194 — 199

⁽⁴⁸⁾ — هو البشير بن مصطفى صفر (1865/1280 — 1917/1335) جغرافي ومؤرخ وصحافي تونسي، من رجال الحركة الإصلاحية بتونس، حفظ القرآن الكريم ودرس بالمدرسة الصادقية استكمل دراسته بمدرسة سان لوي بباريس، لقب بأبي النهضة التونسية، ترأس جمعية الخلدونية وألقى بها المحاضرات في السياسة والتاريخ والجغرافيا، وكتب العديد من المقالات بجريدة (المحاضرة)، من مؤلفاته: الجغرافيا عند العرب، نشأتها وتطورها.

⁽⁴⁹⁾ — انظر، مجلة الشهاب، ربيع الثاني 1356/ جويلية 1937

⁽⁵⁰⁾ عن صدى زيارات ابن باديس لتونس، انظر:

— A. F. n° 6, juin 1937, P. 338 et n° 10, octobre 1937, P. 471

⁽⁵¹⁾ انظر: جريدة الأمة (أبو اليقظان)، عدد 130، 10 جمادى الأولى 1356 - 1937/07/20

⁽⁵²⁾ نفس المصدر، عدد 134، 9 جمادى الثانية 1356 - 1937/08/17.

الثعالبي قال لرجال الصحافة المصريين قبل مغادرته لميناء الإسكندرية نحو تونس في أول جويلية: إنه " واثق من المستقبل، ويعتقد أن الطموحات الوطنية لكل العرب ستتحقق، وقد تحقق بعض منها في كل من مصر وسورية والعراق، وأمنيته أن يأتي دور تونس والجزائر والمغرب الأقصى". وأنه عندما رجع إلى تونس، بدأ يعمل لتوحيد النشاطات الوطنية بها، فقد وجه "نداء" إلى الشباب التونسي في محاضرة بعنوان: "الشباب والإيمان" في 25 جويلية، بحضور الشيخ ابن باديس عن علماء الجزائر، وصالح فرحات عن جماعة الدستور القديم، حلّ فيه الأوضاع في تونس والعالم الإسلامي، ودعاهم إلى الوحدة الوطنية، وتحدث كثيرا عن فكرة "الاتحاد والوحدة" في إطار "التمسك بالإيمان والإسلام".

كما أجرى الشيخ الثعالبي مع نهاية شهر جويلية، محادثات مع الشيخ ابن باديس حول موضوع "التنظيمات الإسلامية" منها توحيد الأحزاب في إطار قومي، وتوحيد الأعمال الوطنية الفردية، ووحدة المغرب العربي، واتفقا على تكوين مجلس مركزي، مهمته تنسيق الأعمال والإجراءات، وتسطير الأهداف الإستراتيجية المشتركة، وإقرار الانضباط في الهيئات التصاعدية (Les hierarchies) ومراقبة النشاطات، ويحتمل التقرير الفرنسي أن يكون على قمة هذا المجلس "رئيس" قد يكون هو الشيخ الثعالبي، أو قد تكون قيادة ثلاثية من "الجزائر وتونس والمغرب الأقصى" (53).

وجاء في نشرية أفريقية فرنسية، أن عدد سبتمبر 1937 لمجلة الشهاب، قد وردت فيه صورة مشتركة "للشيخ عبد العزيز الثعالبي أفندي والشيخ عبد الحميد بن باديس، ووراءهما العلم التونسي" وكتب في أعلى الصورة "مثال للأخوة" وفي أسفلها عبارات منها: "هذا مثال للأخوة، كم هو جميل أن نرى هذا النموذج! إنها صورة لزعيمين رمزين لوحدة شمال أفريقية، وكلاهما منقذ وحام للهِلال (أي الإسلام)..." (54).

(53) - "Rapport sur la situation politique, sociale et économique, décembre 1937" adressé le 29/01/1938 par le R. G. de France à Tunis à Mr. Yvon Delbos, M. A. E. à Paris. In Watha'iq, n°3, 1985, MESRÉ/PNR/CNUDSI, Tunis, P. 27

(54) - L. MOHENDIS, "L'agitation Nord — Africaine", In A. F. n° 10, octobre 1937, P. 471. أورد عمار طالبي مقال لشهاب بعنوان "عبد العزيز الثعالبي" في مؤلفه عن آثار ابن باديس، دون 471. نكر العبارات التي أوردتها للنشرية لفرنسية. فظفر، عمار، الطالبي، ابن بلعيس، حيقته وآثاره، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1403/1983، ص ص. 140-143، نقلا عن الشهاب، عدد رجب 1356/سبتمبر 1937.

حاول بعد ذلك الشيخ ابن باديس، أن يمدّ حبال الأخوة والوحدة إلى المغرب الأقصى، فقد حاول السفر إلى المغرب الأقصى سنة 1937 لحضور تشييع جنازة المصلح المراكشي الشيخ أبي شعيب الدكالي بعد وفاته، غير أن السلطات الاستعمارية رفضت منحه تأشيرة الذهاب⁽⁵⁵⁾ وكان ابن باديس قد حاول زيارة المغرب الأقصى سنة 1927، ومنعته نفس السلطات⁽⁵⁶⁾.

وعلى كل، فإن "إستراتيجية" العلماء السياسية لفكرة الوحدة المغاربية، كانت قد بدأت مع مطلع الثلاثينات، ولم تكن هذه السياسة لتخفى عن أعين السلطات الفرنسية، التي كانت تتابعها عن طريق خبرائها، فقد خلص أحد المتتبعين الفرنسيين لحركة الإصلاح بالجزائر سنة 1937، إلى أن عقيدة المصلحين الوحودية تتمثل في الآتي: —

"أن الجزائر يحب أن تعود إلى الإسلام على مراحل أربع: —

أولاً: — أن تحصل على استقلالها، وتكون وحدتها على نموذج دولة بني زيان، وهي الأسرة الجزائرية الكبيرة.

ثانياً: — تتكثل بعد ذلك، مع الدولتين المراكشية والتونسية، لإقامة الإمبراطورية العربية — البربرية، التي أسسها في مرحلة (تاريخية) عبد المؤمن...

ثالثاً: — عندما تتوحد شمال أفريقية، فإنها تلتحم بالإمبراطورية العربية، التي هي في طور التكوين في القاهرة ومكة (المكرمة).

ت التي أوردتها النشرة الفرنسية، انظر: طالبي، ابن باديس، ج: 4، صص: 140 — 143، نقلاً عن الشهاب، عدد رجب 1356/ سبتمبر 1937.

(⁵⁵) MERAD, Lerefomisme, P. 371, (N. 2).

(⁵⁶) انظر: أبو مالك، "أصداء الشيخ عبد الحميد بن باديس في المغرب الأقصى"، مجلة الموقف، عدد: 5 — 6، رجب — شوال 1408/ مارس — يونيو 1988، المغرب الأقصى، صص: 123 — 130.

رابعاً: — وأخيراً يصير (المغرب العربي) مقاطعة من مقاطعات الخلافة العالمية، التي يجب أن تسود أرض الإسلام إلى آخر الزمان...⁽⁵⁷⁾.

وسياسة العلماء المغاربية العربية — الإسلامية هذه، كما يظهر، مماثلة ومتماشية مع ما كان يدعو إليه الأمير شكيب أرسلان كما سبق وأشرنا.

ومهما يكن من أمر، فإن الحركة الإصلاحية، تمكنت من أن تخلق نوعاً من الوعي الحضاري الجماعي المشترك في المغرب العربي، في إطار فكرة القومية العربية، التي أرسى لها الإصلاح جذوراً عميقة في المنطقة وإن كانت الفكرة القومية المغاربية الواحدة ليست جذاً متماسكة، فذلك راجع للظروف السياسية الطارئة على الإصلاح بشكل عام في المغرب العربي، لتغيير مسار الوحدة، وقد عملت فيها يد الاستعمار، عن طريق أجهزتها، وعن طريق ممثليها من أبناء المغرب العربي السائرين في ركب الحضارة الفرنسية.

و لا يفوتنا أن نلاحظ هنا، أن طابع القومية العربية في الجزائر — و المغرب العربي — ارتدى طابع الجامعة الإسلامية اتحدت فيه العواطف الوطنية و الدينية في جامعة واحدة عربية الإطار إسلامية المحتوي، أي الطابع الحضاري الإسلامي، و هو ما كان يدعو إليه الأمير شكيب أرسلان و علماء الجزائر، بخلاف الحركة القومية في المشرق العربي التي ارتدت طابعاً قومياً، كان الجانب الديني فيها ضعيفاً...

(⁵⁷) J. DESPARMET, "Contribution à l'histoire contemporaine de l'Algérie, 1911 — 1937, — fin" In l'A. F. n° 12, decembre 1937, P. 559 .